**قضية الانتحال وتأصيل الشعر**

تمهيد:

يعتبر الانتحال من أهم القضايا النقدية التي تعرض لها النقاد بالتمحيص والتدقيق، وذلك لما فيها من افتراء واختلاق من طرف الرواة على الشعراء في قصائد لم يقولوها، أو بالزيادة عليهم، فحمل ذلك الكثير من النقاد إلى نقد هؤلاء الرواة وتجريح الوضاعين والتنبيه على الشعر المنحول، إيمانا منهم بتنقية الشعر العربي حتى لا يترك للأجيال إلا الثابت الصحيح، وذلك بإسناد كل قول إلى صاحبه وكل شعر إلى عصره. فكيف عالج نقادنا القدامى هذه الظاهرة حتى تم لهم توثيق الشعر وتعديل الرواة؟ من هم الرواد الأوائل الذين تعرضوا لهذه القضية؟.

في معنى الانتحال**:**

لغة: انتحل: ينتحل، انتحالا، فهو منتحل.

انتحل الشيء: ادّعاه لنفسه وهو لغيره.

اصطلاحا: "هناك عدة مصطلحات في الشعر متعلقة بالانتحال أهما:

1- النحل: نسبة شعر رجل إلى رجل آخر.

2- الانتحال: ادّعاء الشعر.

3- الوضع: أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره لأسباب ودواع"[[1]](#footnote-1).

قضية الانتحال عند النقاد المشارقة**:**

ابن سلام الجمحي وفكرة الشعر المنحول(ت231ه) :

يعد ابن سلام الجمحي من أوائل النقاد الذين أرادوا بفضل بصيرتهم أن ينزلوا الشعراء منازلهم، فعرض إلى فكرة الشعر الموضوع الذي يضاف للجاهليين وليس لهم فهو مفتقر إلى أية جمالية من جماليات الشعر المعروفة، وهذا ما يؤكده ابن سلام الجمحي في قوله: " في الشعر مصنوع مفتعل، موضوع لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسب مستطرف"[[2]](#footnote-2).

وما دام ابن سلام يؤمن بوجود وضع وانتحال في الشعر الجاهلي يؤكد على ضرورة من تجب عليه أخذ الشعر وهم: أهل البادية والعلماء الذين يميزون صحيح الشعر من زائفه. ومن الأسباب التي حملت الناس إلى أن يضيفوا إلى الجاهليين ما لم يقولوه:

1- العصبية في العصر الإسلامي: حرص كثير من القبائل العربية على أن يضيفوا ضروبا من المكانة والمجد وهذا المجد سجله النقد وديوانه الشعر، ويشير ابن سلام إلى أن قريشا كانت أكثر القبائل نحلا، لأنها كانت أقلهم شعرا في الجاهلية وفي ذلك يقول: " وقد نظرت قريش فإذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية، فاستكثرت منه في الإسلام"[[3]](#footnote-3)

2- الرواة الوضاعون: فقد نبه ابن سلام على مجموعة من الرواة الوضاعين كحماد الراوية، وخلف الأحمر ورفض مروياتهما، كما فعل قبله الأصمعي والمفضل الضبي، إضافة إلى ما كان يفعله أبناء الشعراء وأحفادهم من الإضافة إلى شعر آبائهم على نحو ما فعل ابن متمم بن نويرة. بالإضافة إلى صنف آخر كانوا يحملون الشعر الزائف وهم رواة الأخبار والسير كابن إسحاق راوي السيرة النبوية، وفي هذا الشأن يقول ابن سلام الجمحي: " فلما راجعت العرب رواية الشعر (بعد تشاغل العرب عنه بالجهاد والفتوحات) استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت، وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة وما وضعوا، ولا ما وضع المولدين، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال"[[4]](#footnote-4). وبعد أن أكد ابن سلام على وجود ظاهرة الانتحال أقبل على هذا الشعر الموضوع طعنا وتجريحا بكل ما يمكن من البراهين فقدم بذلك أربعة أدلة:

1- دليل نقلي وهو القرآن الكريم. فالله عز وجل يقول: " وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (51) "[[5]](#footnote-5). لم تبق بقية من عاد، فمن إذن حمل هذا الشعر؟

2- يبرهن ابن سلام على أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد فكيف يوجد شعر بلغة لم توجد بعد.

3- ويمعن ابن سلام في الدقة فيذكر أن عادا من اليمن وأن لليمانيين لسانا آخر ويستدل على ذلك بقول أبي عمرو بن العلاء "العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حمير وبقايا جرهم"[[6]](#footnote-6)

4- يطعن ابن سلام في هذا الشعر الموضوع برجوعه إلى تاريخ الأدب وعهد وجود القصيد في الشعر العربي وذكر بعض الشعراء الذين ازدهر الشعر بهم وأن ذلك العهد قريب جدا من الإسلام يقول: " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قصدت القصائد، وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع"[[7]](#footnote-7).

ورغم صعوبة التمييز بين الصحيح والمنحول في الشعر خاصة عندما يصدر عن أهل البادية والعارفين به وبروايته، إلا أن ابن سلام استطاع بفضل ثقافته الواسعة ودقته العلمية أن يكشف الكثير من الشعر المنحول. ولأجل ذلك يرفض الدكتور شوقي ضيف ما ذهب إليه طه حسين وبعض المستشرقين الغربيين في الشك المبالغ فيه في الشعر الجاهلي إلى درجة الرفض فيقول: " والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير، غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء، فقد عرضوه على نقد شديد، تناولوا فيه روايته من جهة وصيغه وألفاظه من جهة أخرى. أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق. ومعنى ذلك أنه أحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت، فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوت وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه، وإنما نشك حقا فيما يشك فيه القدماء ونرفضه، أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي، والأصمعي وأبي زيد، فحري أن نقبله ما داموا قد أجمعوا على صحته"[[8]](#footnote-8).

1. - عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة ، مصر، د.ت، ص82 [↑](#footnote-ref-1)
2. - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، د.ت،ج1، ص4 [↑](#footnote-ref-2)
3. - المرجع نفسه، ص5. [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. [↑](#footnote-ref-5)
6. [↑](#footnote-ref-6)
7. [↑](#footnote-ref-7)
8. [↑](#footnote-ref-8)